

تفسير البحر المحيط

@ 524 \$ 1 (سورة النصر) 1 \$ مدنية .

بسم الله الرحمن الرحيم .

2 ({ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنََّّهُ كَانَ تَوَّابًا }) 2 .

{ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنََّّهُ كَانَ تَوَّابًا } . .

هذه مدنية ، نزلت منصرفه صلى الله عليه وسلم) من غزوة خيبر ، وعاش بعد نزولها سنتين . وقال ابن عمر : نزلت في أوسط أيام التشريق بمنى في حجة الوداع ، وعاش بعدها ثمانين يوماً أو نحوها صلى الله عليه وسلم) . ولما كان في قوله : { لَكُمْ دِينُكُمْ } موادة ، جاء في هذه بما يدل على تخويفهم وتهديدهم ، وأنه آن مجيء نصر الله ، وفتح مكة ، واضمحلال ملة الأصنام ، وإظهار دين الله تعالى . .

قال الزمخشري : { إِذَا } منصوب بسبح ، وهو لما يستقبل ، والإعلام بذلك قبل كونه من أعلام النبوة ، انتهى . وكذا قال الحوفي ، ولا يصح إعمال { * فسيح } في { قَدْ لَكُمْ } { إِذَا } لأجل الفاء ، لأن الفاء في جواب الشرط لا يتسلط الفعل الذي بعدها على اسم الشرط ، فلا تعمل فيه ، بل العامل في إذا الفعل الذي بعدها على الصحيح المنصور في علم العربية ، وقد استدللنا على ذلك في شرح التسهيل وغيره ، وإن كان المشهور غيره . والنصر : الإعانة والإظهار على العدو ، والفتح : فتح البلاد . ومتعلق النصر والفتح محذوف ، فالظاهر أنه نصر رسوله صلى الله عليه وسلم) والمؤمنين على أعدائهم ، وفتح مكة وغيرها عليهم ، كالطائف ومدن الحجاز وكثير من اليمن . وقيل : نصره صلى الله عليه وسلم) على قريش وفتح مكة ، وكان فتحها لعشر مضي من رمضان ، سنة ثمان ، ومعه عليه الصلاة والسلام عشرة آلاف من المهاجرين والأنصار . .

وقرأ الجمهور : { يَدْخُلُونَ } مبنياً للفاعل ؛ وابن كثير في رواية : مبنياً للمفعول . { فِي دِينِ اللَّهِ } : في ملة الإسلام الذي لا دين له يضاف غيرها . { أَفْوَاجًا } أي جماعات كثيرة ، كانت تدخل فيه القبيلة بأسرها بعدما كانوا يدخلون فيه واحداً بعد واحد ، واثنين اثنين . .

قال الحسن : لما فتح عليه الصلاة والسلام مكة ، أقبلت العرب بعضها على بعض فقالوا :
أما الظفر بأهل الحرم فليس به يدان ، وقد كان الله تعالى أجارهم من أصحاب الفيل . وقال
أبو عمر بن عبد البر : لم يمت رسول الله صلى الله عليه وسلم) وفي العرب رجل كافر ، بل دخل
الكل في الإسلام بعد حنين . منهم من قدم ، ومنهم من قدّم وافده . قال ابن عطية : والمراد
، والله أعلم ، العرب عبدة الأوثان . وأما نصارى بني ثعلبة فما أراهم أسلموا قط في حياة
الرسول صلى الله عليه وسلم) ، لكن أعطوا الجزية . وقال مقاتل وعكرمة : المراد بالناس
أهل اليمن ، وفد منهم سبعمئة رجل . وقال الجمهور : وفود العرب ، وكان دخولهم بين فتح
مكة وموته صلى الله عليه وسلم) . و { أَفْوَاجًا } : جمع فوج . قال الحوفي : وقياس جمعه
أفوج ، ولكن استثقلت الضمة على الواو فعدّل إلى أفواج ، كأنه يعني أنه كان ينبغي أن
يكون معتل العين كالصحيح . فكما أن قياس فعل صحيحها أن يجمع على أفعل لا على أفعال ،
فكذلك هذا ؛ والأمر في هذا المعتل بالعكس .